2- تفسير سورة الحج في تفسير الخازن المسمى بـ«لباب التأويل في معاني التنزيل»

Interpretation of Surat Al-Hajj in the interpretation of Al-Khazen, "which is called Lobab Al-Ta'weel in the Meanings of Revelation"

بقلم الطالب: **محمود خضير محمد العيساوي**

جامعة الجنان/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية/قسم التفسير وعلوم القرآن.

تاريخ الاستلام: 2023/1/25 تاريخ القبول: 17/2/ 2023

مستخلص البحث:

تناولت هذه الدراسة تفسير سورة الحج في تفسير الخازن للقرآن الكريم المسمى بـ«لباب التأويل في معاني التنزيل» دراسة وصفية تحليلية نتعرف فيها على مؤلف الكتاب الخازن للتأويل، وعلى ماذا بنى طريقة تفسيره، وتحت أي نوع من أنواع التفسير باستطاعتنا أن نضع الكتاب تحت خانته، وتتبع أهمية البحث من كون سورة الحج سورة غنية بالمقاصد والمعاني التي وضعها الله عز وجل بعناية فريدة من نوعها ابتداء من مراحل خلق الإنسان وصولاً إلى أتباع الرسل والأنبياء والإيمان بشريعة التوحيد وما أنزله الله على كل رسله، وتبرز إشكالية البحث في تناول المؤلف لتفسير السورة بشكل مختلف عن باقي كتب التفسير الأخرى، بكونه يتناول باب التفسير بالمأثور بشكل كبير في غالب مواطن التفسير الموجودة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في مناقشة مضمون البحث وبحث نتائجه.

الكلمات المفتاحية: التفسير بالمأثور، تفسير الخازن، سورة الحج، علم التفسير، الشيحي

Abstract:

This study deals with the interpretation of Surat Al-Hajj in Al-Khazen's interpretation of the Holy Qur'an, which is called "Lobab Al-Ta'wil in Meanings of Revelation", a descriptive and analytical study in which we get to know the author of the book Al-Khazen of Interpretation, and on what he built his method of interpretation, and under which type of interpretation we can place the book, The importance of the research stems from the fact that "Surat Al-Hajj" being rich in purposes and meanings that God Almighty placed with unique care, starting from the stages of human creation, all the way to the followers of the messengers and prophets, and the belief in the monotheism and what God revealed to all of His messengers, The problem of the research appears in the author's handling of the interpretation of the surah in a different way from the rest of the other books of interpretation, as it deals with the chapter of interpretation by tradition in a large way in most of the existing places of interpretation.

Keywords: interpretation by tradition, interpretation of Al-Khazen, Surat Al-Hajj, science of interpretation, Al-Shehhi.

بسم الله الرحمن الرحيم

1. الإطار النظري

2.2 المقدمة:

الحمْد لِلَّه ربِ العلميْنِ وأتم الصَّلَاة والتَّسْليم على سيِّدنَا مُحمَّد وَعلَى آله وأصْحابه أَجمعِين أُمَّا بَعْد فَإِن اَللَّه سُبْحانه أَنزَل القرآن هُدىً للنَّاس وَرحْمَة ودستوراً قائماً إِلى قيام الساعة فِيه مِن الأحْكام مَا هُو بيّن ظَاهِرٌ لِلنَّاس مِمَّا لَا يجْهله أحد وفيه مِن اَلأُمور اَلتِي لَا يَستطِيع أن يَتَعرَّف على مُبْتغاهَا إِلَّا أَولَو اَلعُقول والْأفْهام وَمِن نِعْمته سُبْحانه وَتَعالَى على هَذِه اَلأُمة أَنَّ جعل فِيهَا عُلَماء اِخْتصُّوا بِعلُوم هَذا الكتَاب اَلعظِيم، أعطاهم اَللَّه النَّظْرة الثَّاقبة، فمكَّنَهم مِن اِسْتنتاج الأحْكام وَبَيان المفْهوم والْمراد مِن الفهْم، والْحكْمة والنَّظر فِي هَذِه الآيَات المحْكمات، وَذلِك مِن خِلَال قَواعِد خَاصَّة يُعتَمَدون عليْهَا، فَهُو لَيْس عِلْما عاديا لأي إنسان، فيتكَلَّم فِيه بِهواه بل هُو عِلْم قَائِم على قَواعِد وَأصُول ثَابِتة مَعلُومة لكل من يَخُوض فِي أرجاء هذَا العلم وإِنَّنَا لَو نظرْنَا فِي عِلْم التَّفْسير وأحْوَال المفسِّرين وأوْطانهم لرأْينَا أَنَّه مَا مِن بلد إِلَّا جاء مِنْه مِن العلماء الَّذين بادروا واثْمرْوَا بِهَذا العلم المبارك أو اَلعُلوم اَلتِي تَتَعلَّق بِه فَهْم قَائِمة تَطُول فِي زَمانِنا وأَنَّنَا نَجِد جُهودهم الحثيثة على اَلبُلوغ لِمراد الخالق عزَّ وجلَّ فِي تفاسيرهم أَسَاس عَقِيدَة تَحكُّم البيَان لِأبْنَاء الأُمة أَجمَع.

2.3 إشكالية البحث:

تنبع إشكالية البحث من كون الحج ركناً اساسياً من أركان الإسلام، في طياته يحمل رسالة عالمية حتى لغير المسلمين للدلالة على أحقية الإسلام وصدقه في الدعوة التي أنزلها الله عز وجل على نبيه محمد.

2.4 أسئلة البحث:

وينتج عن إشكالية البحث سؤال أساسي: ما هي المقاصد الإلهية الكامنة في سورة الحج؟

ويتفرع عنه عدة أسئلة:

- ما هو ترتيب سورة الحج بين سور القرآن؟

- ما نوعية التفسير الذي تناوله الشيحي في هذه السورة؟
- ما هي المعاني الإعجازية الموجودة في سورة الحج؟

2.5 أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أهمية البحث كونه يتناول سورة قرآنية قلّ من قام بصياغة بحث عنها بالشكل الذي يطرحه الباحث، ويمكن إيضاح أهمية البحث بالنقاط الاتية:

- إثراء المكاتب التفسيرية الإسلامية بالبحوث الجديدة، والمفيدة لكل باحث في علم التفسير.
- أهمية إنجازات الخازن وما قدمه في هذا العلم الجليل.
- تتبع من أهمية هذه السورة التي تحتوي على العديد من القاصد الربانية في ثناياها.

2.6 أهداف البحث

يمكن سرد أهداف البحث في النقاط الاتية:

- بيان تفسير سورة الحج المذكور في تفسير الخازن.
- الوقوف عند تأويل السورة في الكتب الأخرى دون كتاب الشيحي.
- التعرف إلى سورة الحج وأسباب نزولها وفضلها، ومكانها في الكتاب الحكيم.

2.7 الدراسات السابقة:

جاء في دراسة (منى سيد احمد،2017) «اختيارات الإمام الخازن في التفسير (من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل) جمع ودراسة وتوثيق (من الآية 83 من سورة آل عمران وحتى الآية 82 من سورة المائدة) وتناول الفصل الأول: عصر الإمام الخازن، ثم ترجمته ثم جاء الفصل الثاني ليجسد الصورة الحقيقية لموارد التفسير عند الإمام الخازن ومنهجه فيه. و خلصت الدراسة لكثير من النتائج ذات الفائدة المرجوة أهمها : 1/ تفسير الإمام الخازن مختصر من تفسير الإمام البغوي. 2/ تفسير الإمام الخازن ليس شاذاً عن نظائره فيما حوى وشمل. 3/ عمله في خزانة دمشق كان واضحا

في تفسيره مما انعكس عليه[1]».

ويتبين من دراسة (نافع منصور، 2018) «أن منهج الامام الخازن رحمه الله في التفسير يعتبر من ادق المناهج و قدمت الدراسة صورة واضحة عن المصادر الذي اعتمدها الامام في عملية التفسير من كتاب الله وأقوال التابعين والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، وقد توصلت الدراسة إلى خلاصة تتمثل في ما يلي : يعد تفسير الخازن من التفاسير المأثورة بالدرجة الأولى لاعتمادها على مصادر تفسير بالمأثور والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة»[2].

ويمكن القول إن هذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة بكونها تتناول موضوع تفسير سورة الحج بصورة مختلفة عن الدراسات الماضية فهي تركز على المقاصد الربانية التي وضعها الله في آيات السورة.

2.8 فرضيات البحث:

واشتمل البحث على فرضية أساسية تقوم على أن مضمون سورة الحج وما تحتويه من رسائل شاملة وجامعة في العديد من النقاط؛ فقد اشتملت على آيات احكام، وآيات عبادة، سواء كان بشكل مجمل أم مطلق في التفسير.

3 . التعريف بالكتاب والمؤلف:

هو «علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن»، من كبار علماء التفسير، ذو المذهب الشافعي، بغدادي الأصل، نسبته إلى «شيحة»، ويقال إنها من نواحي حلب. ولد في بغداد 678هـ، وسكن دمشق فترة، وكان خازن الكتب بالمدرسةُ السميساطية فيها. وتوفي بحلب 741هـ. له تصانيف، منها « لباب التأويل في معاني التنزيل –» غني بما قدمه وعرفه في علم التفسير، وشهر بتفسير الخازن، ومقبول المنقول: وهو كتاب قيم في الحديث، عمدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام[3]، قال ابن قاضي شهبة : «كان من أهل العلم، جمع وألف وخلف كتباً كثيرة في فنون مختلفة،

(1) منى محمد أحمد سيد أحمد. (2017). اختيارات الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه (لباب التأويل في معاني التنزيل) : جمع و دراسة و توثيق (من الآية 83 من سورة آل عمران و حتى الآية 82 من سورة المائدة). أطروحة ماجستير. أم درمان، السودان: جامعة ام درمان الاسلامية، كلية اصول الدين.

(2) نافع سعد أحمد منصور. (2018). منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل. رسالة ماجستير. شندي، السودان: جامعة شندي.

(3) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي. (2002). الأعلام. الخامسة عشر. دمشق، سوريا: دار العلم للملايين، الجزء الخامس، ص5

ومن أهمها التفسير الذي اختصره من تفسير البغوي، وضم إليه ما نقله ولخصه من سائر التفاسير، وليس له، كما يقول، سوى النقل والانتخاب، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب».

ولقد اتفقت جميع المصادر والمراجع علي هذه التسمية دون زيادة أو نقصان في اسمه أو في سلسلة نسبه، حتى كنيته هي أيضا مما اتفقت عليه كتب التراجم والأعلام فقد ذكرتها على أنه (علاء الدين أبو الحسن) بغض النظر عن الاختلاف بمن وضعها فبعضهم يذكرها في آخر اسمه كالداودي في طبقاته فذكر أنه (علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي، وبعضهم يذكره في أول أسمه كبن العماد الحبلي بقوله : «هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي»[1].

4 سورة الحج مكانها، فضلها، أسباب نزولها في القرآن الكريم:

4.1 مكانة سورة الحج وفضلها:

سورة الحج سورة مدنية، إلا الآيات 52: 55 فنزلت بين مكة والمدينة المنورة، من المئين، آياتها 78، وترتيبها في المصحف 22، في الجزء السابع عشر، السورة بها سجدتان في الآية رقم 18و77، نزلت بعد سورة النور، بدأت بأسلوب نداء يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ وسُميت على اسم الحج وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، وتضمنت مواضيع كثيرة منها يوم القيامة والبعث والنشور والعبودية لله والإذن بالجهاد، كما سبق وذكرنا.

سميت سورة الحج تخليدا لدعوة الخليل إبراهيم، حين انتهى من بناء البيت العتيق ونادى لحج بيت الله الحرام، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع في الأصلاب والأرحام وأجابوا النداء» لبيك اللهم لبيك».

فالحج ذكرنا بيوم القيامة وباكتظاظ الجموع، والناس يملأون أرض المحشر، وكلهم متجهون إلى مكان واحد في لباس واحد في حرّ الشمس، النفرة من مزدلفة والنزول من عرفة والتوجه لرمي الجمرات). ولذا جاءت الآيات في أول السورة عن يوم القيامة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

(1) أبو البركات النسفي، 1998. مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق يوسف علي بديوي. بيروت: دار الكلم الطيب. ص 298

بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [1] وعند قراءتنا لسورة الحج نرى أنه يوجد رابط كبير بين يوم القيامة وسورة الحج! والآن وضحت الصورة وفهمنا مراد الله من هذه الآيات فما أنزل الله الآيات إلا في مكانها المناسب بتدبير وحكمة لا يعلمها إلا هو ولكن العبد يجتهد في تحرّي هذا المعنى حتى يفهم هدف الآيات التي يتلوها فسبحان الحكيم القدير.

والحج يذكرنا بيوم البعث، فمنظر المعتمرين في مزدلفة وهم نيام بعد وقوفهم في عرفة عليهم آثار التعب، ويعلوهم التراب والغبار ثم يؤذن لصلاة الصبح فتراهم يقومون وينفضون عنهم التراب، كما لو أنهم بعثوا من قبورهم يوم البعث.

والحج يذكرنا بالجهاد ولذا جاءت آيات الجهاد في السورة بعد آيات الحج، لأنّ الحج تدريب قاس على الجهاد لما فيه ارتحال من مكان لآخر وتعب والتزام بأوقات ومشاعر أمر بها الله وعلّمنا إياها رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ويقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] ونرى في هذه الآية أن الحج يذكرنا بالعبودية الخالصة لله فجميع الحجيج يتضرعون، لإلهاً واحدا في عرفة حتى الشجر والدواب والطير والسموات والأرض، كلٌ يدعو ربه ويسبحه.

4.2 أسباب نزولها:

وجاء في سبب النزول:

نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة، مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة : فإن صح بها جسمه، ونتجت فرسه مهرا حسنا، وولدت امرأته غلاما، وكثر ماله وماشيته رضي عنه واطمأن، وقال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وأجهضت رماكه، وذهب ماله، وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، فينقلب على دينه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ

(1) القرآن الكريم سورة الحج: 2-1.
(2) القرآن الكريم سورة الحج: 18.

خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [1].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ [2]

عن أبي ذر – رضي الله عنه – أنه كان يقسم قسما: إن هذه الآية: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، واختار هذا سبباً للنزول عند القرطبي[3]

– قال الله تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[4]

عن ابن عباس[5] – رضي الله عنهما – قال: لما أخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن. فنزلت: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) قال: فعرف أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: هي أول آية نزلت في القتال.[6]

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة.

وقال ابن عاشور[7]: (وذلك أن المشركين كانوا يؤذون المؤمنين بمكة أذى شديدا فذكر كلاما حتى قال: فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة إذنا لهم بالتهيؤ للدفاع عن أنفسهم ولم يكن قتال قبل ذلك كما يؤذن به قوله تعالى عقب هذا: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق)[8]، ومما يتبيّن من أقوال المفسرين أن الآية نزلت بالإذن للرسول صلى الله عليه وسلم والأصحاب بالقتال، إلا أنه ليس هناك ارتباط بين الآية والحديث لكونه مرسلاً؛ وهذا يضعّف الارتباط.

(1) القرآن الكريم سورة الحج: 11.
(2) القرآن الكريم سورة الحج: 19.
(3) القرطبي، أبو عبد اللّه. 1964. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية ص 32
(4) القرآن الكريم سورة الحج: 39.
(5) عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب القريشي الهاشمي ولد في مكة في عام الهجرة إلى المدينة من اساتذته: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد، أسامة بن زيد، أسماء بنت أبي بكر الصديق من تلاميذه: أبو الحسن، أبو المغيرة، أبو بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة ينسب له تفسير ابن عباس للقران الكريم توفي عام : 68 في الطائف.
(6) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص252
(7) محمد الطاهر بن عاشور (تونس، 1296 هـ، 13 رجب 1393 هـ) عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته.
(8) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص262

4.3 تفسير آيات المسائل في سورة الحج في «لباب التأويل في معاني التنزيل»:

4.3.1 تفسير آيات الساعة: من الآية 1-5

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ ﴾[1]

إن قوله عزّ وجلّ «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ» أتى بمعنى التحذير من العقاب، واعملوا بطاعته «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة ووصفها بالعظم ولا شيء أعظم مما عظمه الله تعالى. قيل: هي من أشراط الساعة قبل قيامها. وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يَوْمَ تَرَوْنَها، أي الساعة وقيل الزلزلة تَذْهَلُ، قال ابن عباس تشغل وقيل تنسي كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ أي كل امرأة معها ولد ترضعه وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، أي تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل حملها قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام. فعلى هذا القول تكون الزلزلة في الدنيا لأنه بعد البعث لا يكون حبل، ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الأمر وتهويله على حقيقته كما تقول أصابنا أمر يشيب فيه الوليد تريد به شدته وَتَرَى النَّاسَ سُكارى، على التشبيه وَما هُمْ بِسُكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وأزال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وَلكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك»[2].

زاد في رواية «والخير في يديك فينادى بصوت إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال رب وما بعث النار، قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحوامل، ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم»، زاد في رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض

(1) القرآن الكريم سورة الحج: 2-1.
(2) رواه أبو سعيد الخدري، اخرجه الترمذي في صحيحه برقم 3465، باب القيامة ص 145.

أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبّرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة فكبّرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبّرنا»[1]. وفي حديث عمران بن حصين وغيره أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأ عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أي يوم ذلك قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعث النار» وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال «يدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر: سبعون ألفا؟ قال: نعم قال ومع كل واحد سبعون ألفا». قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[2]

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ نزلت في النضر بن الحارث كان كثير الجدل وكان يقول للملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وإحياء من صار ترابا وَيَتَّبِعُ يعني في جداله في الله بغير علم كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ يعني المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان أحدهما: أنهم شياطين الإنس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، والثاني أنه إبليس وجنوده كُتِبَ عَلَيْهِ يعني قضى على الشيطان أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ يعني اتبعه فَأَنَّهُ يعني الشيطان يُضِلُّهُ يعني يضل من تولاه عن طريق الجنة وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ يعني شك مِنَ الْبَعْثِ يعني بعد الموت فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ يعني ذريته من المني وأصلها الماء القليل ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ يعني

(1) رواه أبو هريرة أخرجه البخاري في صحيحه برقم 1635، باب القيامة والحساب ص 675.
(2) القرآن الكريم سورة الحج: 5-3.

من دم جامد غليظ وذلك أنّ النطفة تصير دما غليظا ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ[1].

قال ابن عباس: أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط. وقيل: المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة إلى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط، والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الأحوال كلها. وروي عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال: إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال: أي رب مخلقة أو غير مخلقة فإن قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك: أي رب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الأجل ما العمل ما الرزق بأي أرض يموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب، فإنك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته، وقال حدّثنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه بعمل أهل الجنة فيدخلها»[2] وقوله تعالى (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة وقيل: لنبين لكم ما تأتون وما تذرون وما تحتاجون إليه في العبادة وقيل لنبين لكم أنّ تغير المضغة إلى الخلقة هو اختيار الفاعل المختار فإنّ القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزا عن الإعادة وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ أي لا تسقطه ولا إلى أَجَلٍ مُسَمًّى أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم طِفْلًا أي صغارا وإنّما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ أي كمال القوة والعقل والتمييز وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى أي قبل بلوغ الكبر وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ أي الهرم والخرف لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث

(1) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 263

(2) الراوي ابن مسعود اخرجه مسلم في صحيحه برقم 432، باب الخلق ص 43

فقال تعالى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً﴾ أي يابسة لا نبات فيها فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ يعني المطر اهْتَزَّتْ أي تحركت بالنبات وَرَبَتْ أي ارتفعت وذلك أنّ الأرض ترتفع بالنبات وَأَنْبَتَتْ هو مجاز لأن الله تعالى هو المنبت وأضيف إلى الأرض توسعا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ أي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل.[1]

4.3.2 تفسير آيات العقيدة والتوحيد: من الاية35-31

إن في قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾[2]

حُنَفاءَ لِلَّهِ يعني مخلصين له غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره، وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حنفاء فنزلت «حنفاء لله غير مشركين به» أي حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ أي سقط مِنَ السَّماءِ إلى الأرض فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ يعني تسلبه وتذهب به أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ يعني تميل وتذهب به فِي مَكانٍ سَحِيقٍ يعني بعيد. ومعنى الآية أنّ من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي[3] من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه في المكان السحيق. وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة. وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما

(1) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص264

(2) القرآن الكريم سورة الحج: 31-34.

(3)علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 265

عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. قوله عزّ وجلّ ذلِكَ يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس وقول الزور وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ يعني تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب قال ابن عباس: شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار، وهو العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استئمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لَكُمْ فِيها أي في البدن مَنافِعُ قيل هي درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى أي إلى أن يسميها ويوجبها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها. وهو قول مجاهد وقتادة والضحّاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء. واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يجوز ركوبها والحمل عليها من غير ضرر بها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رأى رجلا يسوق بدنة فقال: «اركبها فقال يا رسول الله إنّها بدنة فقال: اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة»[1] وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها. وقال أصحاب الرأي: لا يركبها إلّا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعني بالتجارة والأسواق إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى يعني إلى الخروج من مكة وقيل لَكُمْ فِيها مَنافِعُ يعني بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ يعني منحرها عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم. وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال «نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم»[2] ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم محلها يعني محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة. قوله تعالى و(لِكُلِّ أُمَّةٍ) يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جَعَلْنا مَنْسَكاً قرئ بكسر السين يعني مذبحا وهو موضع القربان منسكا بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ يعني عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله. قوله عزّ وجلّ فَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ يعني سموا على الذبح اسم الله وحده فإنّ إلهكم إله واحد فَلَهُ أَسْلِمُوا يعني أخلصوا وانقادوا وأطيعوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ قال ابن عباس: المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم.

(1) رواه ابي هريرة، اخرجه مسلم برقم 2365، اخرجه البخاري برقم 2456، باب الذبائح، صفحة 123.
(2) راواه عبدالله بن عباس، اخرجه الترمذي في صحيحه برقم 1675، باب الذبائح، صفحة 136

قال الله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ (1)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا } يعني أمهلتها ﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ } يعني مع استمرار أهلها على الظلم ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهَا } يعني أنزلت بهم العذاب ﴿ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ } يعني مصيرهم إلي في الآخرة ففيه وعيد وتهديد. قوله عز وجل { قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أمر رسول الله أن يديم لهم التخويف والإنذار وأن يقول لهم إنما بعثت لكم منذرا {فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول «إنما أنا نذير مبين» أردف ذلك بأن أمره بوعد من آمن ووعيد من عصى فقال «فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة» يعني ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر أيضا مع التوبة ورزق كريم يعني لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة(2) ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني عملوا في إبطال آياتنا ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ يعني مثبطين الناس عن الإيمان وقرئ معاجزين يعني معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾، قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ قال ابن عباس وغيره من المفسرين : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي. فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما

(1) القرآن الكريم سورة الحج: 52-48.

(2) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 253

وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر[1] وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال: يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان به رحيما وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم. وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا: هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم إلّا بجوار أو مستخفيا. فلما نزلت هذه الآية قالت قريش : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ ﴾ الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا ﴿وَلَا نَبِيٍّ ﴾ النبي هو الذي تكون نبوته إلهاما[2]، أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا إلا إذا تمنى يعني أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ يعني في مراده وقال ابن عباس : إذا حدّث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلا. والمعنى ما من نبي «إلا تمنى» أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته يعني في تلاوته قال حسان في عثمان حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر[3]

فإن القول بقيام الدلائل على صدقة وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا

(1) الماتريدي، أبو منصور. 2005. تأويلات أهل السنة. تحقيق مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1 ص 178

(2) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 255

(3) القشيري، عبد الكريم. 1945 لطائف الإشارات. تحقيق إبراهيم بسيوني. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1 ص234

﴿مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ فكيف يجوز الغلط على النبيّ صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه؟ قلت ذكر العلماء عن هذا الإشكال أجوبة : أحدها: توهين أصل هذه القصة وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم، والذي يدل على ضعيف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقائل يقول إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبيّ صلى الله عليه وسلم وإن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخا من قريش أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا»[1].

والآية الجواب الثالث : في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الآية تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل أن الشيطان ترصد لتلك السكنات فدس فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا لصوت النبيّ صلى الله عليه وسلم[2]، فسمعه من دنا منه من الكفار فظنوها من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم فسجدوا معه لسجوده فأما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبيّ صلى الله عليه وسلم ذم الأوثان وعيبها وإنهم كانوا يحفظون السورة كما أولها الله عز وجل الجواب الرابع : في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم أنّ التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة فعلى الأول : يكون معنى قوله {إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ} أي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور ولا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة وعلى الثاني : وهو تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله «إلا إذا تمنى» أي تلا وهو ما يقع للنبيّ صلى الله عليه وسلم من السهو في إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث «لقد أذكرني كذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا»[3] وحاصل هذا أن الغرض

(1) رواه عبدالله بن مسعود، اخرجه مسلم في صحيحه برقم 576 باب الصلاة صفحة 198

(2) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 258

(3) رواه عائشة رضي الله عنها، أخرجه مسلم في صحيحه برقم 788 في باب الصلاة ص187

من هذه الآية أن الأنبياء والرسل وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر والله تعالى أعلم. قوله عز وجل ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي يبطله ويذهبه ﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي يثبتها ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾ قوله عز وجل ﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء ﴿ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي شك ونفاق ﴿ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ ﴾ أي في خلاف شديد[1].

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[2]

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾أي التوحيد والقرآن والتصديق ينسخ الله ما يشاء ﴿ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي الذي أحكم الله من آيات القرآن هو الحق من ربك ﴿ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ ﴾ أي يعتقدوا أنه من الله عز وجل ﴿ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي تسكن إليه ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ أي إلى طريق قويم وهو الإسلام. قوله عز وجل ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ ﴾ أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم ﴿ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً ﴾ أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾ أي عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لِلَّهِ) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه ﴿ يَحۡكُمُ ﴾ أي يفصل ﴿ بَيۡنَهُمۡ ﴾ ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ

(1) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 259

(2) القرآن الكريم سورة الحج: 58-54.

كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾. قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه ﴿ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لأنه فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ فإن قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وإن الله لهو خير الرازقين. قلت قد يسمى غير الله رازقا على المجاز كقوله رزق السلطان الجند أي أعطاهم أرزاقهم وإن الرزاق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأنه الله تعالى يعطي الرزق ما لا يقدر عليه غيره.[1]

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۘ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [2]

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ﴾ يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ ﴾ بنياتهم ﴿ حَلِيمٌ ﴾ بالعفو عنهم. قوله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾ يعني جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه ﴿ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ ﴾ يعني ظلم بإخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجوهم إلى مفارقة أوطانهم

(1) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 260

(2) القرآن الكريم سورة الحج: 70-59.

نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا في المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يعني عن مساوي المؤمنين ﴿غَفُورٌ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ذلك النصر ﴿بِأَنَّ الله﴾ القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ في معنى هذا الإيلاج قولان، أحدهما : أنه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس. القول الثاني: هو ما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي ذو الحق في قوله وفعله، ودينه حق وعبادته حق ﴿وَأَنَّ ما يَدْعُونَ﴾ يعني المشركين ﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ يعني الأصنام التي ليس عندها ضر ولا نفع ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُ﴾أي العالي على كل شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾ أي العظيم في قدرته وسلطانه. قوله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ يعني بالنبات ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ يعني باستخراج النبات من الأرض رزقا للعباد والحيوان ﴿خَبِير﴾ يعني بما في قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم ﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾ يعني عبيدا وملكا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ يعني الغني عن عباده الحميد في أفعاله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني الدواب التي تركب في البر ﴿وَالْفُلْك﴾ أي وسخر لكم السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ يعني سخر لها الماء والرياح ولو لا ذلك ما جرت ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ أي لكيلا تسقط ﴿عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ يعني أنه أنعم بهذه النعم الجامعة بمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية في الإنعام والإحسان فهو إذن رؤوف رحيم بكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ﴾ أي أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ أي عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي يوم البعث للثواب والعقاب ﴿إِنَّ الْإِنسان لَكَفُورٌ﴾ أي لجحود لنعم الله عز وجل. قوله تعالى ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قال ابن عباس شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ هم عاملون بها وعنه أنه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ أي في أمر الذبائح نزلت في بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟ وقيل معناه لا تنازعهم أنت. قوله تعالى ﴿وَادْعُ إِلى رَبِّكَ﴾ أي إلى الإيمان

به وإلى دينه ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي على دين واضح قويم ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ ﴾ يعني خاصموك في أمر الذبح وغيره ﴿ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي من التكذيب ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ يعني فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردّد بين جنة وثواب لمن قبل وبين نار وعقاب لمن رد وأبى. قوله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾ الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الأمة ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ﴾ يعني في اللوح المحفوظ ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ يعني علمه بجميعه ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أي هين وقيل : إن كتب الحوادث مع أنها من الغيب على الله يسير ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ يعني حجة ظاهرة من دليل سمعي ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ ﴾ يعني أنهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي ﴿ وَما لِلظَّالِمِينَ ﴾ يعني المشركين ﴿ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ يعني مانع يمنعهم من العذاب.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (1)

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ يعني القرآن وصفه بذلك لأنه فيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ يعني الإنكار والكراهية يتبين ذلك في وجوههم ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴾ يعني يقعون ويبسطون إليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشوه ﴿ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي بمحمد وأصحابه

(1)القرآن الكريم سورة الحج: 78-72.

من شدة الغيظ ﴿قُلْ﴾ يعني قل لهم يا محمد ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ يعني بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تستمعون ﴿النَّارُ﴾ يعني هي النار ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا. قلت لما كان المثل في الأكثر نكتة عجيبة غريبة جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلا. وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ يعني تدبروه حق تدبره فإنّ الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل لي شبيه وشبه به الأوثان أي جعل المشركون الأصنام شركائي يعبدونها ثم بين حالها وصفتها فقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾يعني الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ يعني واحدا في صغره وضعفه وقلته لأنها لا تقدر على ذلك ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾يعني لخلقه، والمعنى أن هذه الأصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا له ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ قال ابن عباس : كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فاستلبه منه[1]. وقيل : كانوا يضعون الطعام بين أيدي الأصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أو يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب هو الصنم ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يعني ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يعني غالب لا يقهر. قوله عز وجل ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ يعني يختار من الملائكة ﴿رُسُلاً﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يعني يختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والرسل صلّى الله عليهم أجمعين. نزلت حين قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فأخبر الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من عباده لرسالته ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ يعني بأقوالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ يعني لأفعالهم لا تخفى عليه خافية. قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: ما قدموا ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾يعني ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا ما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي

(1) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 263

ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يعني في الآخرة. قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ يعني وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ قال ابن عباس : صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يعني لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة[1].

(1) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. (1979). لباب التأويل في معاني التنزيل. الخامسة. بيروت، لبنان: دار الفكر. ص 264

الخاتمة

النتائج:

بعد هذه الدراسة الموجزة والخوضِ في تفسير سورة الحج ومقاصدها الكبيرة، توصل البحث إلى ما يأتي:

أولاً: إن تسمية سورة الحج بهذا الاسم هو دليلٌ على أن هذه السورة تتحدث عن الركن الخامس من أركان الإسلام.

ثانياً: هذه السورة هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تذكر سجدتين من التلاوة، وعدد السجدات مجتمعة في القرآن الكريم كاملاً أربع عشرة سجدة، وهي فضيلة أيضاً، وهي آخر سورة أنزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته.

ثالثاً: ما يقال عن فوائد سورة الحج أن من قرأها ثلاثة أيام متتالية فالله تعالى ييسر له الذهاب إلى بيت الله الحرام للحج إلى مكة. بدلاً من ذلك، يكافئه الله القدير على الذهاب إلى بيت الله الحرام.

رابعاً: تتحدث هذه السورة في مواضع كثيرة عن وجوب خشية الله تعالى وطاعته، وقيام المسلمين بوصاياه والابتعاد عن نواهيه.

خامساً: وصفت السورة رعب يوم القيامة والخوف والذعر الذي سيواجهه كل الناس بسبب هولِ وفزعِ يوم القيامة. إذ من شدته هو أن ترى الناس في هذه الحالة كأن عقولهم قد ذهبت! ولكنهم ليسوا في حالة سكر، لكنهم يبدون هكذا.

سادساً: وفي ثنايا هذه السورة، نرى الله تعالى قد وعد الكافرين بعذاب أليم، وأن الأمم السابقة تصرفت وأخذت نصيبها من العذاب. لذلك جعلهم الله طعم العقاب الشديد على ما لم يؤمنوا به.

سابعاً: كما تحدثت السورة عن مراحل خلق الإنسان وتطور خلقه من مرحلة إلى أخرى بداية من أول مراحل خلق الإنسان حتى أصبح طفلاً، ثم شابًا حتى يصبح شيخًا.

ثامناً: كما تناولت السورة إخبار الناس عن نعمِ الله تعالى، وأن الله أعطاهم الكثير من النعم حتى أنه وحثهم جل جلاله على عدم نسيانها، والقول بعدم وجودها.

تاسعاً: تحدثت السورة عن سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله عز وجل ببناء البيت الحرام.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة
- أبو البركات النسفي، 1998، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب.
- القرطبي، أبو عبد اللّه، 1964، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية
- القشيري، عبد الكريم، 1945 لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1
- الماتريدي، أبو منصور،2005، تأويلات أهل السنة، تحقيق مجدي سلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (2002)، الأعلام، الخامسة عشر، دمشق، سوريا: دار العلم للملايين، الجزء الخامس.
- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن، (1979)، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخامسة، بيروت، لبنان: دار الفكر.
- منى محمد أحمد سيد أحمد، (2017)، اختيارات الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه (لباب التأويل في معاني التنزيل): جمع ودراسة و توثيق (من الآية 83 من سورة آل عمران و حتى الآية 82 من سورة المائدة)، أطروحة ماجستير، أم درمان، السودان: جامعة ام درمان الاسلامية، كلية اصول الدين.
- نافع سعد أحمد منصور، (2018)، منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل، رسالة ماجستير، شندي، السودان: جامعة شندي.